

الفصل الثاني  
يوم القيامة

obeikandi.com

## أولاً: يوم القيامة

### نفخة وصيحة:

يقول تعالى بشأن يوم القيامة: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: 26]؛ فهو يوم واحد وليس كهيئة أيامنا وتشرق فيه أرض المحشر بنور ربها.

وجدير بالبيان أن الله تعالى أطلق على نفخة الصور (نفخة القيامة) اسم الصيحة، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: 42].

إنه من المعلوم بأن الصيحة إذا كانت عظيمة فإنه يصاحبها هواء شديد، لذلك فيمكن أن تكون نفخة وصيحة بذات الوقت، ويكون ذلك من بدیع بیان القراءان، ومن قوة الصيحة فإن الكون سيتبدد إلى فتات من قوة تلك الصيحة، وستناثر من قوة النفخة.

فنفخة القيامة يصاحبها صيحة الخروج، وأيا كان الأمر، فالثابت

أن الأمر بالخروج يكون عن طريق صيحة الخروج، وهي صيحة عظيمة، وتبلغ عظمتها أنها تُسمع الموتى الذين لا يسمعون أصلاً بنص كتاب الله القائل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: 22]. لكن الله يُسمع من يشاء.

وصيحة الخروج مناداة من الله لأهل القبور، فيتجيبون له فوراً، لقلوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: 25].

ومن صور القيامة يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: 44]؛ ويقول جل شأنه: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ أَسْمَاءُ بِالْعَنَمِ وَزُلُّ الْمَلَكِكَةُ تَنْزِيلاً﴾ [الفرقان: 25]؛ فستشقق الأرض عن الأجساد، وستشقق السماء عن الملائكة، ثم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48].

### البعث:

وبالنفخة الثانية (نفخة القيامة) يكون البعث للقيامة العامة، حيث يقول تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]؛ والصورة التفصيلية لأحداث البعث تبينها الآيات التالية:

فيقول سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: 51].

ويقول جل شأنه: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ﴾ [المعارج: 43].

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: 44].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48].

وعن قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ۖ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۗ مَهْطِعِينَ إِلَىٰ الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: 6-8].

فهذه الآية تنص على خروج الكافرين خاشعي الأبصار أذلاء، مسرعين إلى مصدر الصوت الذي يناديهم ويدعوهم، وتزيدنا بياناً وصورة حية لمشهد البعث والنشور، فحالمهم في ذلك اليوم في حركتهم وانطلاقتهم وهم يخرجون مسرعين كحال الجراد المنتشر، ويفيدنا النص أيضاً اعتراف الكفار في ذلك اليوم بصعوبة موقفهم ﴿يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

أما أسفار الأنبياء الأخرى في التوراة ففيها بعض النصوص التي تُصرِّح بالبعث والنشور، وكذلك الأناجيل، ففي سفر دانيال: «كثيرون من الراقيدين تحت التراب يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار، والازدراء الأبدي».

وفي سفر المزامير يذكر الحشر إلى النَّار فيقول: «مثل الغنم إلى النَّار يساقون، الموت يرعاهم، ويسودهم المستقيمون غداة، وصورتهم تبلى، والهاوية مسكن لهم».

ويكون مع خروج الأجساد من القبور تزويج الأنفس - التي سبق وكانت بمكان لا يعلمه إلا الله - لأجساد لا أقول بأنها ذات الأجساد القديمة لكنها تحمل ذات مقوماتها وذاكرتها، لكن ستختلف خصائصها، والأنفس لم تكن بما يُطلق عليه البعض البرزخ، فالبرزخ ما هو إلا فاصل بين أحياء الدنيا وحياتهم، والأموات ومكانهم، فعلى ذلك لا يوجد مكان اسمه البرزخ ولا حياة اسمها الحياة البرزخية، فذلك من أبناء الغيب التي استأثر الله بعلمها، لكنها خيالات بعض المفسرين الذين تأثروا بمدسوس الروايات على رسول الله.

لكن قد يثور سؤال أيتم بعثنا بذات أجسادنا أم ستبديل تلك الأجساد؟، وهل من كان مشلولاً بالدنيا سيُبعث مشلولاً؟، وصاحب البدانة هل يُبعث بدينا؟.. وهكذا؟، بالطبع لا، لأن الجسد ما هو إلا

مركبة، وتلك المركبة لا بد وتصلح للمكان الذي تتواجد به، والمهمة الموكولة لها، والجسم ما هو إلا مجرد طاقة، وبالطبع سيتغير كنه هذه الطاقة بالآخرة، فكما تغيرت وتبدلت الأرض والسموات فإن الجسد أيضاً ستتغير خصائصه مع احتفاظه بذات شكله، فصاحب البدانة لن يكون بدينا، لأن بدانته كانت من نهمه لالتهام الطعام بالدنيا.

ولتغير خصائص الجسم فإننا سيمكننا أن نرى الجن والملائكة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ فَصَرَخْتُمْ﴾ [ق: 22].

ولأننا كنا بالدنيا ذوي بصر محدود لا يرى كل الموجودات، وله قدرات محدودة تتناسب مع مهمته بالحياة الدنيا، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى بسورة الحاقة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: 38-39]؛ لكن للآخرة شأن آخر وهيئة أخرى ذات إمكانات أكبر، لذلك ستتغير خصائص الجسد، فهو جسد لا يبول ولا يغوط.

يقول ابن تيمية يرحمه الله تعالى: «النشأتان نوعان تحت جنس: يتفقان ويتمثالان ويتشابهان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر، ولهذا جعل المعاد هو المبدأ، وجعله مثله أيضاً.

وأول مقولة يقولها الكافرون بعد البعث يحكيها لنا القرآن: ﴿قَالُوا

يَتَوَلَّئْنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾  
 [يس: 52]؛ فلأنهم كانوا يُكذِّبون بالبعث فأصبح البعث حقيقة واقعة  
 فهم يقولون: ﴿يَتَوَلَّئْنَا﴾، بل تجدهم من خرفهم وكفرهم يقولون:  
 ﴿مَنْ بَعَثْنَا﴾، فهم لا يزالون في ضلالهم غير مصدقين، غير أنهم لا  
 يستطيعون التكذيب الآن كما كانوا بالماضي حال حياتهم، وما ذلك إلا  
 لوقوع البعث الذي يَهَيِّئُهُم للحساب واقعا ملموسا.

ومن بين ما أنبأنا به كتاب الله أن كل نفس تُبعث تكون معها سائق  
 وشهيد من ملائكة الله، فيقول جل جلاله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ  
 وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21]؛ فالسائق يقودها إلى الميزان ثم إلى المحشر، والشهيد  
 يحمل سجلات أعمالها، وقد يكون المحشر العام أولا ثم الميزان، وهو  
 ما لم أستطع الوقوف عليه تحديدا؛ ثم بعدها يكون تطاير الكتب ثم  
 المحشر الخاص ثم المصير الأبدي.

والسائق والشهيد لهما وظيفة أخرى مع الكافرين، إذ يقول الله:  
 ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ  
 ذُفُوفًا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: 50]؛ ولأسفي بأن بعض الدعاة  
 والمفسرين إن لم يكن جُلُّهم يقول عن هذه الآية بأنها ساعة الوفاة، وما  
 ذلك إلا لقصور مفهوم كلمة (يتوفى)، فالتوفي هنا يعني التولي، أي حين  
 تتولى الملائكة أمر الذين كفروا فإنهم يضرَّبون وجوههم وأدبارهم،

لكن إذا تصورنا تفسير الدعاة والمفسرين فإننا سنسأل عن دور الملائكة (السائق والشهيد) بالنسبة للصالحين، هل أغفله القراءان؟، لكن لنا أن نقول بأن الفرق في السوق للمحشر هو الإهانة التي يلقاها أهل الكفر، وفي لونهم الأزرق وفي كونهم عميانا وصما وبكما، وهو ما سيأتي بيانه.

### الحشر والشفاعة:

ويحشر الناس كلهم في صعيد واحد بأرض المحشر، ويبدو أنه سيكون هناك زحام شديد لما تعنيه كلمة حشر وكلمة محشر، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: 158]؛ ويقول جل في علاه: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 72]؛ ولن يقف أمر الحشر على الناس فقط بل يكون على كل الخلائق، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ عَظِيمٍ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

ولا يهمني في هذا الموقف العصيب أن يحشر بعض الناس ركباناً وكأنهم يتم تجهيزهم لعرس، فالخطب جليل، إنه الحساب وهوول الحساب، مهما كان العبد طيباً، لكن ما يجب التنويه عنه أن الأنفس الطيبة تكون مطمئنة قبل أن تغادر الحياة، فقد قال الله بسورة الفجر:

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: 27-30]؛ بها يعني أننا لسنا بحاجة لأساطير من نوع أنهم يحشرون ركبانا.

وأرض المحشر مضيئة من ذاتها حيث يقول تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 69].

وإنه علاوة على الحشر العام للناس جميعاً بأرض واحدة، فإن هناك محشراً خاصاً لكل فئة، وذلك من قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم: 68]. فهناك محشر خاص عند جهنم.

بينما سيحشر المتقون في محشر خاص، حيث يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: 85]؛ بينما يقول عن الكافرين: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴾ [مريم: 86]؛ بها يعني بأن هناك محشراً عاماً ثم محشراً خاصاً لكل فئة.

كما لا بد أن نتبين الفرق بين الحشر وفدا للمتقين، والسوق وردا للكافرين، فالوفود يكون لها شرف في استقبالها، أما الورد فهم يقذفون ويذوقون سوء المعاملة.

ويحشر المذنبون - الذين تمت إدانتهم - رزقاً، حيث يقول تعالى:

﴿يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: 102]؛ ويا ليت الأمر يقف عند حد اختلاف اللون بلون فاضح، لكن انظر لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124]؛ فهم يحشرون عميا.

ومن مصائب بعض الكافرين بالآخرة أنهم لا يحشرون واقفين، بل يحشرون على وجوههم: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُكْرًا مَّكَانًا وَّأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 34]؛ فهؤلاء هم أشر الكافرين مصيرا، بل لا تقف المصيبة عند هذا الحد، فتدبر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُم أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۗ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَنُكَمَا وَّصَمًا مَا وُتُّهُم جَهَنَّمَ كَمَا خَبَت زُرْدْتُهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97]؛ فما أرى من ذل أكبر من هذا، وهو ذل يشهده الخلائق جميعا.

بينما يُحشر المؤمنون وهم هالة كمال التزامهم بعبودية الحق طاعةً، واستغفاراً، وتوبةً، فترى نورهم أمامهم وعن أيانهم بينما هم يريدون أن يحيطهم النور من كل جانب، وفي ذلك يقول ربنا سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا نُورًا إِلَىٰ اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا

وَأَعِزَّنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿التحریم: 8﴾؛ فَيُكْفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ  
سَيِّئَاتِهِمْ وَيَتِمُّ لَهُمْ نُورُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ثُمَّ يَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ.

ويقول - تعالى - أيضا عنهم: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ  
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: 12]؛ فما أرى إلا أن ذلك هو الفوز العظيم  
وأسأل الله - تعالى - أن يصلح عملي، ويجمعني مع هالتي من نور  
الكمال وإياهم مع النبيين بأعلى مراتب الجنة..... آمين.

ويجتمع الناس بالمحشر العام فيجلسون، وتتم إقامة الحجة على  
الناس أجمعين دفعة واحدة، ثم تقام الحجة على كل فرد على حدة،  
فأما عن البيان الأول فإن الله - تعالى - يقول: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِعَةً كُلُّ  
أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجنائفة: 28]؛ فكتاب الأمم  
هو ما كانت تتبعه الأمم، فيجلس الذين كانوا يتبعون القراء ان خلف  
القراء، ومن كانوا يتبعون مدسوسات كتب غير رسالات الله فتراهم  
يجلسون خلف مدسوساتهم، ومن كانوا يرون إمامة علي بن أبي طالب  
هي منتهى جهادهم يجلسون خلف ما يدعون من كتب يُفَرِّقُونَ بِهَا  
الأمّة، ومن كان جل همه أن يكون ناصريا اشتراكيا فهو يجلس خلف  
منهاجه الذي ارتضاه وبدّل به كتاب الله.... وهكذا.

وأما عن البيان الثاني (إقامة الحجة على كل فرد على حدة) فهو

أمر جاهز أو لا بأول، لأن الله تعالى يقول: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: 80]؛ ورسَل الله الكتابة ليست ملائكة معها دفاتر وأوراق كما يتخيل بعض المُجسِّدين، لكنها أجهزة تسجيل عضوية خلقت فيك منذ خلقت، كشريحة التسجيل بالأجهزة الألكترونية، فتلك الأجهزة لا يمنعها ماء ولا ظلام عن تسجيل كل شيء بالصوت والصورة حتى ظنونك وخواطرك، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِنْ يَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7]؛ ويقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بِعَظْمِ الظَّنِّ إِنَّمَا...﴾ [الحجرات: 12]؛ فلو أن هناك ملكين يكتبان في دفاتر - كما يظن الظانين - لكان الأمر يعني بأنهما يعلمان ما يجول بخواطرنا من ظنون، وهو الأمر المتحيل على الملائكة.

ولا يبقى بعد ذلك إلا وضع الحسنات في كفة والسيئات بالكفة الأخرى، وإجراء المقاصة بينهما، ليقيم الله الحجة والبرهان على عباده، ثم ينتهي الأمر إلى الجزاء.

ومن عجيب ما ورد بكتب الصحاح أن نقرأ مسند الإمام أحمد وهو يقرر بأن الشام هي أرض المحشر، وكأن الله لم يقل بأنه سيبدل الأرض غير الأرض والسموات، لكن قل في إعلان الكثير الحرب على القرءان ما تشاء.

## الشفاعة:

وحتى لا يقولن قائل بشفاعة في يوم الحشر فإن الله تعالى قال:

1- ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ  
وَالِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَنْفُونَ ﴾ [الأنعام: 51].

2- ويقول تعالى: ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ  
مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: 48].

3- ويقول سبحانه: ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ  
مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: 123].

4- ويقول جل في علاه: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ  
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾  
[البقرة: 254].

5- ويقول تعالى بسورة النجم: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾  
وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ [النجم: 39-41]؛  
بها يعني أنك مجزي بما تفعل فقط.

أما من يحتاجون بقوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾  
[البقرة: 255]؛ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء: 28]

بما يعني وجود شفاعاة، فقولهم مردود عليهم بأن تلك الشفاعاة لا تكون يوم القيامة، وإلا بات القرآن متناقضا، إنما هي شفاعاة بالدنيا، فموسى عليه الصلاة والسلام شفيع لقومه الذين أماتهم الله فأحياهم فقال له: ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فَنفَتِكَ تَضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: 155]؛ ونبينا محمد ﷺ كان وجوده مانعا من عذاب من حوله من الصحابة، حيث يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: 33] ... وهكذا.

ويقول ربنا وهو يثبت الشفاعاة بالدنيا حال الحياة: ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا وَرَثَ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴾ [النساء: 85]؛ فكيف سيكون لمن يشفع شفاعاة سيئة ذنب إن لم يكن ذلك بالدنيا، هل هناك ذنوب يصيها العبد يوم القيامة.

فهل نكذب بتلك الآيات كلها، وبغيرها، لتؤكد شفاعاة روائية بيوم الحشر، ونرجم القرآن بالنقص ونقول بأن السنة مكملة لما سكت القرآن، بينما نردد: ﴿ ... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُّعِذُّ بِرَبِّهِمْ

يُحْشَرُونَ ﴿[الأنعام: 38]؛ فلمت أدري أنردد الآية ونعتقد نقيضها،  
أم يرجم بعضنا بعضا بالقصور الفكري حتى يبقى الوضع على ما  
هو عليه؟.

وحتى ومع أحسن الفروض، وإن أهملنا -بالفسق المعتاد- كل تلك  
المعاني الواضحة للآيات، فإن كانت هناك شفاعاة، فمن ذا الذي اتخذ عند  
الله عهدا أن يشفع له أحد؟، ومن أدراك بقبول الله لتلك الشفاعاة؟.

والسنة النبوية القولية التي وردت بشأن الشفاعاة لا تنهض لتقف  
في وجه الآيات القرآنية، ولا يقولن قائل بأننا لا نفهم، أو بأن عقولنا  
قاصرة، وينبهي بتبريرات قمرزية اعتدنا عليها، لذلك لا تعجب إن  
رأيت أئمة هؤلاء يقولون بأن الكتاب يحتاج للسنة أكثر من احتياج  
السنة للكتاب، قال بذلك الإمام الأوزاعي، وما أرى قوله إلا شططاً  
واجترأ على الله وجد من يعظمونه، بل ويقولون عنه بأنه إمام.

فتجد من الأوائل الذين أقدموا على ذلك التجاوز الإمام الشوكاني  
الذي يقول: [بأن السنة النبوية توجب ما سكت القراءان عن إيجابه  
وتحرم ما سكت القراءان عن تحريمه]، بما يعني أن السنة القولية المروية  
بشريا ولم يحفظها رب العالمين، وحفظها ومحصها البشر الذين بعملهم  
اختلاف كثير عن الحق، فإن الشوكاني يرى بأنها بمثل قوة القراءان في  
الحكم بل تتفوق عليه.

وقال بعضهم تعبير فيه شذوذ فقال: [بأن السنة النبوية قاضية على  
القرءان]، وبررها البعض تبريرات ساذجة ليخفف من وطأتها، لكن  
الإمام أحمد بن حنبل قال: أستحي من الله أن أقول هذا.

وبهذا ومن جماع ما سبق قلنا بعدم وجود شفاعة يوم الحشر،  
وإن فرح الكمالى بمنظومة الشفاعة، وبزعم دخول الجنة برحمة  
الله وليس بالعمل الصالح، فما قالوا ذلك إلا ليوطنوا بالنفوس فتنة  
إشراك رسول الله مع الله في الحكم والتحليل والتحريم، ليقبلوا بذلك  
عثراتهم ومعاصيهم التي قضوا فيها حياتهم كلها ثم تراهم يعتقدون  
ويتلمسون الدفن بالبقيع كسبب للوصول إلى الجنة وما ذلك إلا من  
فساد عقائد هؤلاء.

### صور كونية من أحداث يوم القيامة:

سبق الذكر بأن يوم القيامة يوم تشيد للأخرة، فمن بين ما  
سيحدث يوم القيامة أن تنشق السماء ويتغير لونها، وفي ذلك يقول  
تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: 37].

ومنها أنك ترى الله والملائكة، وتكون الملائكة صفا صفا، وفي  
ذلك يقول تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22].

ومن أحداثها قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِبُيُوتِهِمْ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَعُ عَنْهَا

إِلَّا سِنَّهُ وَأَتَى لَهُ الذِّكْرَى ﴿ [الفجر: 23]؛ ويقول سبحانه: ﴿ وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةُ لِلشَّاقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق: 31]؛ يعني ذلك عدم وجود الجنة والنار الآن في مكانها وإن كانتا مخلقتا فعلا وتم إعدادهما، لكنهما سيؤتى بهما يوم القيامة.

والنار لها تغيظ وزفير - أعود بالله منها ومن تغيظها وزفيرها - وهو صوت يشبه الزجاجة، وهي ترى أهلها قبل أن يروها، وهم يسمعونها قبل أن يروها، وذلك من قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَرَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: 12].

ويقول تعالى في شأن الجنة: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133].

### الميزان ثم تسلم الكتب:

وبعد الحشر العام والحجّة العامة، يتم سوق الناس للميزان، حيث يرى كل منهم عمله الشخصي، الخير والشر، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ [الأنبياء: 47]؛ ويقول جل شأنه بصدد رؤية الأعمال: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِّنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ

اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿﴾ [آل عمران: 30]؛ لكن هيهات، فلقد أخبرنا تعالى بسورة الزلزلة وهي تتحدث عن أحداث الساعة أنه يحدث العلم بعدها، أي يوم القيامة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿﴾ [الزلزلة: 7-8]؛ فرؤية الأعمال تكون يوم القيامة العامة، ولا تكون يوم موتك كما يحلو للبعض أن يتشدد بذلك القول المناهض لكتاب الله، والناس تبعهم دون تدبر لكتاب الله.

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قِيلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿﴾ [التكوير: 1-14] أي إذا حدثت كل هذه الأحداث الخاصة بالساعة والقيامة، فإنه يحدث بعدها اليقين بحقيقة علم كل نفس بما قدمت وأخرت.

ويؤكد ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرت (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿﴾ [الانفطار: 1-5]؛ أي إذا حدثت كل هذا يحدث علم كل نفس بما قدمت وأخرت (ولاحظ أنه ذكر تدمير الكون بما يعني الساعة، وذكر بعثرة القبور بما يعني القيامة).

هل تدبرت كيف أن معرفة الأعمال تكون بعد أهوال الساعة وبعد البعث يوم القيامة، لست أدري ماذا أفاد هؤلاء المخالفين الذين يقولون بأن العلم بالأعمال يكون يوم الممات، ثم تراهم يساندون فكرهم بحديث [إذا مات ابن آدم قامت قيامته]، وهو حديث موضوع كما ورد بذلك الخبر بسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني شيخ محدثي العصر الحديث، لكن يمكن القول بأن مدة وجودك بالقبر تساوي صفرا لانعدام الزمن في عالم الأموات، فيكون بعد الموت بعثك أنت والناس جميعا يوم القيامة دون أن تحس بأن هناك زمنا مر عليك.

فإن كان العبد مؤمنا صالحا - وليس مؤمنا بالبطاقة الشخصية - فإن ميزانه ثقيل، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8]؛ أما إن كان من الكافرين فإن ميزانه يطيش لحفته، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 9].

وقد أخرج أبو داود والترمذي، وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء عن النبي - ﷺ - قال: «ما يوضع في الميزان يوم القيامة أنقل من حسن الخلق».

ثم تكون المقاصة الحسابية بين أجر عملك الصالح وعملك

الفاسد، ونتيجة تلك المقاصة هي مصيرك الأبدي الذي لا فكاك منه، فالحسنات تُذهب السيئات، والسيئات تأكل الحسنات، ثم يطبع لك كتابك الذي يأتيك ولا تأتيه، حيث يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، بِبِعِينِهِ، فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَوْفَىٰ وَأَكْتَبِيَّةٌ ۝١١﴾ إِنْ ظَنَنْتُ أَنْي مُلْكِي حِسَابِيَّةٌ ۝٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝﴾ [الحاقة: 19-24].

وأما من أتى كتابه بشماله فيقول الله عنهم: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلْبِئْسَ لِي لَوْمَاتُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ۝٢٤﴾ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَّةٌ ۝٢٥﴾ يَلْبِئْسَ مَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ مَا آغَىٰ عَنِّي مَالِي ۝٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۝٢٩﴾ خَذُوهُ فَعَلُوهُ ۝٣٠﴾ تَرَاهُ جَحِيمَ صَلْوَةٍ ۝٣١﴾ تَرَاهُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۝﴾ [الحاقة: 25-37].

وهناك من يأتيهم كتابهم من خلفهم، حيث يقول - تعالى - بسورة الانشقاق: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، وَرَاءَ ظَهْرِهِ، ۝١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۝١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝﴾ [الانشقاق: 10-15]؛ والحقيقة لست أدري أهى ثلاث صور لوصول الكتاب لابن آدم أم صورتان، لأن سورة الحاقة أبرزت صورتين، الأولى أن يأتي الكتاب عن يمين والثانية عن شمال العبد،

أما سورة الانشقاق فذكرت صورتين أيضاً، الأولى عن يمين، والثانية من الخلف، وذلك هو سبب عدم الجزم عما إذا كانت صوراً ثلاثاً أم صورتين، لكن أياً كان الأمر فإن من السوية الفكرية أن نعمل لنكون مع الفئة الناجية.

### هول الحساب ومجادلة الناس والشهود على العبد:

لكن الأمر لا يمر بهذه البساطة، فالموقف موقف مصير أبدي لذلك ترى أناساً يجادلون الله عن أنفسهم وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجُودِلٍ عَنِ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: 111]؛ وحتى لا يكون الأمر جدالاً في عبث فإن الله يقيم الحجة على أولئك المجادلين، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: 65]؛ ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24]؛ فحذار من كونك تحمل شهود الإثبات عليك بين جنيك وأنت لا تدري، أو قد تدري، لكنك لا تنتبه، وتلك من الطامات الكبرى، لذلك فذكر الله الدائم بالعمل على رضوانه أعظم ما يمكن للمرء أن يهتم به في حياته لحسن أخراه.

وحتى حين يُقاد أهل النار إلى جهنم تراهم ما زالوا يجادلون،

وهنا.... وعند النَّارِ، يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم،  
ولأن العذاب سيكون على الجلد أول ما يكون، فإن الله يجعل ذلك  
الجلد ينطق وكأنها يتتقم من صاحبه، حيث يقول تعالى بسورة فصلت:  
﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ  
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا جُودِهُم لِمَ  
شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ  
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ  
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ  
الَّذِي ظَنَّتُمْ لِبَرِيَّتِكُمْ أَزْدَكُمُ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْضِرُوا  
فَأَلْتَارُ مَوْتَىٰ لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت: 19-24].

كما يبين لنا كتاب ربنا تسجيل الأرض لكل ما وقع على ظهرها،  
فيقول تعالى بسورة الزلزلة: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ  
الْأَرْضُ أَنْفَاقًا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ  
رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة: 1-5]؛ فتعبير ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾  
يعني كما ورد بالسنة النبوية المطهرة أن تحدث بما عمل كل عبد وأمة  
على ظهرها، وتدبر قول رسول الله ﷺ بمسند أبي يعلى حديث رقم  
[4133] عن النبي ﷺ أنه قال ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب  
يدخل عمله وباب يخرج فيه عمله وكلامه فإذا مات فقدها وبكيا عليه

وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: 29]،  
فذكر أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم  
ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا عملهم كلام طيب ولا عمل  
صالح فتفقدتهم فتبكي عليهم.

إن التجيل العضوي الدائم لكل ما تفعلونه، والتسجيل  
الأرضي لكل ما تقوم به على ظهرها، من كبرى الحقائق التي نتناسها  
أو ننساها، وقد يكون سبب نسياننا يكمن في تأثيرنا بما يعني أن الجهاد أو  
الأعضاء الجسدية ليس لها إدراك أو إرادة مستقلة، لكن تبيان عملاقة  
تأثيرها على مصائر العباد يشهدا يوم القيامة حقيقة قائمة ومفزعة،  
يرتد أثرها إلى حياتك التي تحياها لعلك تفيق من سكرات وساوس  
الشياطين وطول الأمل وتقي الله.

لذلك وبعد كل تلك الشهود، فإن أهل النار بعد أن أجمتهم  
الحجة تراهم لا ينطقون، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَيَلَّيْمُ الْكُذِّبِينَ  
﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّيْمُ الْكُذِّبِينَ﴾  
[المرسلات: 34-37]؛ أي في ذات اليوم الذي سمح الله لهم فيه بأن  
يجادلوا ويدافعوا عن أنفسهم، وبعد إقامة الحجة والبيان عليهم فهم لا  
ينطقون ولا يؤذن لهم أن يعتذروا، وهذا الإذلال لهم.

## شهداء يوم القيامة:

ومن بين أحداث يوم القيامة وجود شهداء كثيرين إذ لا يقتصر الأمر على أن كل نفس تبعث يكون معها سائق وشهيد، بل يكون الرسول شهيدا علينا، ونكون نحن شهداء على الناس، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143].

وهناك على كل أمة شهيد منها، ويكون الرسول شهيداً على شهداء الأمم، فيقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]؛ ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: 84]. حيث سيكون كل نبي شهيد على قومه، ويكون النبي شهيد على شهداء الأمم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41].

فيعسى - ﷺ - يكون شهيداً على أمة النصارى، وذلك من قوله

تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 159]، وهكذا كل نبي.

والله - تعالى - على كل شيء شهيد، وهو شهيد على كل الأمم، وعلى كل إنسان على حدة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج: 9]؛ ويقول تعالى: ﴿ ... كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف: 8].

### تبرؤ المدنبيين والشياطين من بعضهم البعض:

وينقل لنا القرءان صورة تبرؤ كل من يتبع غير سبيل المؤمنين، فيرينا صورة الذين كان الناس تتبعهم بالدنيا، وكانوا يشمخون بكثرة الأتباع، حيث يقول تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: 166]؛ وهنا يكون ندم الأتباع - لكن حيث لا ينفع الندم - فيقولون: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: 167]؛ وهكذا ما تحوي الآخرة إلا ندم لمن لم يتبها، وغرتهم الحياة الدنيا.

ويقول الله عن أولئك الأصحاب والأخلاء: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 67]؛ ويقول بسورة

الفرقان عن من أطاع أصحابه وندماءه: ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ  
يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يُؤْتِلَنِي لِيَنِّي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا حَظِيلًا  
﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ  
حَذُولًا ﴾ [الفرقان: 27-29].

وحتى يكون ندم فئة الكافرين وأولئك الذين أفسدوا إيمانهم  
أشد، والحياة والحسارة فادحة، فإن الله قد جعل لإبليس خطبة، وكأنها  
خطبة الوداع لأصحابه الذين كانوا يتبعون وساوسه وتعاليمه بالدنيا،  
فيقول الله - تعالى - في هذا المشهد: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ  
إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ  
سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا  
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ  
قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22].

ثم يُقاد المؤمنون إيماناً ذا يقين إلى الجنة، بينما يُساق المجرمون  
إلى النار، وفي ذلك يقول - تعالى - بسورة مريم: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ  
إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ ﴿٨٥﴾ وَنَسُوفُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا ﴾ [مريم: 85-86]؛  
ويقول تعالى بسورة الزمر: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّى  
إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ  
عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا  
فَإِنَّ سَعَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ  
زُمُرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ  
طِبِّئْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ  
وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى  
الْمَلَائِكَةَ حَاقِبِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ  
وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ [الزمر: 71-75].

وكلمة (زُمُرًا) تعني بأن الناس والجان يدخلون الجنة أو النار وفق  
أعمالهم، فالزُمرة هي مجموعة متجانسة من الجنة أو الناس، فيدخل إلى  
الجنة الصادقون في زُمرة الصادقين، والبارون في زُمرة البارين، وهكذا،  
ويدخل الكاذبون في زُمرة الكاذبين... و... إلى النار، وهكذا، وكل  
تلك الفئات تدخل وفق المقاصة التي ذكرناها من حسنات أو سيئات،  
ويتم تقسيمها الفئوي وفق معظم أعمالها الحسنة، أو أعمالها السيئة.

### الوصول إلى دار القرار:

دار القرار بالنسبة لأهل المحشر إما جنة أو نار، حيث يقول تعالى:  
﴿يَقُومُوا إِتْمًا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾  
[غافر: 39]؛ فيقاد أهل النار إلى النار في مجموعات، كل مجموعة أسوأ

من أختها، وبمجرد وصولهم تفتح النار أبوابها أو توما نيكيها، وذلك من قوله - تعالى - بسورة الزمر: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتَ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: 71-72]؛ ويقول تعالى أيضا: ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل: 29].

ويدخل أهل النار للنار، وقد أعياهم الجدل والدفاع عن أنفسهم، فهم يدخلونها معترفين بذنوبهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتَ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: 71].

ويقول تعالى بسورة الملك عن وصف دخول أهل النار إليها ووصفها واعتراف أهلها وندمهم: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّرُ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا الْقُورُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنشَأْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ

أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾  
[الملك: 6-11].

أما أهل الجنة - اللهم اجعاني في مقدمتهم مع حبيك و صفيك محمد ومن اهتدى بهديه - فيقادون إليها في مجموعات، كل مجموعة أفضل من أختها، وبمجرد وصولهم الجنة فإن هناك ملائكة تفتح أبوابها لهم: ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُبِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ. وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ]  
[الزمر: 73-75].

ويقول تعالى بسورة (ق) بشأن دخول أهل الجنة للجنة: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ] [ق: 31-35].

وأبواب جهنم سبعة، وذلك من قوله تعالى بسورة الحجر: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ]  
[الحجر: 43-44].

وأبواب الجنة ثمانية كما ورد بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه بكتاب بدء الخلق حديث رقم 3084 عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: (في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون).

وخزنة النار ملائكة غلاظ شداد، وعليهم رئيس لهم، اسمه مالك، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿بَنَاتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]؛ وعدد خزنة النار تسعة عشر ملكا، حيث يقول - تعالى - بسورة المدثر: ﴿سَاصِلِهِ سَفَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا بُغْيَ وَلَا نَذْرٌ ﴿٢٨﴾ نَوَاحِيَةُ اللَّبَنِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: 26-30]؛ وعن اسم رئيسهم يقول تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِتُونَ﴾ [الزخرف: 77].

ويجدر البيان عن خطأ يقع فيه الكثير عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [مريم: 71-72]؛ ففي ((الصحيح)) أنه - ﷺ - قال: «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة»، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: (وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا). فقال: «ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾»

جَنَّتًا ﴿٧٢﴾ [مریم: 72]. وأشار - ﷺ - إلى أن ورود النَّار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه، ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم.

### من كلمات وأقوال أهل الجنة وأهل النار وأهل ما بينهما:

وحتى بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فإن الله ينقل لنا صوراً مما سيحدث فيها وما يحدث بينهما، فيقول - تعالى - عن مقولة أهل الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [الزمر: 74]؛ ويقول عنهم أيضاً: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَطْنَأَ دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر: 33-35].

أما أهل النار فمصيرهم وصراخهم يقول الله عنهما بسورة فاطر: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرِ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ [فاطر: 36-37].

وتجد أهل النار الذين كانوا يُحِبُّون الدنيا وهم يَتمنُّون الموت ويطلبونه، فيقول تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ﴾ [الزخرف: 77]؛ وفي طلبهم الموت وفي عدم استجابة الله لهذا المطلب ولا التخفيف من العذاب دلالة على عدم وجود عذاب بالقبور، وأن الموت كان مجرد رُقَادٍ في سُبَاتٍ.

ومن بين الكلام المتبادل بين أهل الجنة وأهل النار يقول تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 44].

فسبحان الله بعد أن كان الكافرون والمنافقون يضحكون ويتغامزون في الدنيا على المؤمنين انقلب الحال بالآخرة، لذلك يقول - تعالى - عن الآخرة بأنها خافضة رافعة، أي تخفض أقواما كانوا بالدنيا مرفوعين، وتُعلي شأن أقوام كانوا يميزان الدنيا من الأسفلين، ولعل ذلك من أسباب وعظ الله لنا ألا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم.

ومن الكلام المتبادل بين أهل النار وأهل الجنة، يقول تعالى بسورة الأعراف: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٥٠)

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَعَرَزَتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ  
 نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا آلِيَاءَهُ يَوْمَ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾  
 [الأعراف: 50-51].

وهناك تحاصم بين أهل النَّار، فهؤلاء الذين كان بعضهم يرحب  
 ببعض في الحياة الدنيا، ويوقِّر بعضهم بعضاً، يتحول حالهم في ذلك  
 اليوم، فيقول بعضهم لبعض ما قصه علينا كتاب ربنا بسورة ص:  
 ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَدِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥١﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا  
 مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسَ الْفَرَارِيُّ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ  
 عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٥٩﴾ [ص: 59-61]؛ فيتمنى كل فريق على الله أن يزيد  
 من كانوا أحبابه في الدنيا من العذاب والآلام، إن هذا التخاصم بين  
 أهل النَّار حق كائن لا شك في ذلك، كذلك يقول ربنا تبارك وتعالى.

وهناك تحاصم آخر بين أهل النَّار وقرنائهم، قال تعالى بسورة ق:  
 ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴿٢٣﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَيْنِي ﴿٢٤﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ  
 مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ  
 رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ، وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ  
 إِلَيْكُمْ بِالرُّعُودِ ﴿٢٨﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ [ق: 23-29].

وهناك تحاصم ثالث بين أمم أهل النَّار، لأن الذين اتبعوا ما ألفوا  
 عليه آباءهم سيندمون، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ

خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا  
 آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبْتُهُمْ لِأُولَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتَتْهُمْ عَذَابًا  
 ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿38﴾ [الأعراف: 38].

ولقد بيّن الحق تبارك وتعالى سبب دخول النَّارِ وذلك من خلال  
 اعتراف أهلها فيما بينه تعالى بسورة المدثر: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا  
 لَوْ نَكُنْ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَكُنْ نَاطِقِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَائِضِينَ  
 ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: 42-47].

وبين أهل الجنة وأهل النَّارِ هناك أناس على الأعراف لم يدخلوا  
 الجنة ولا النَّارِ، لكن تراهم يشاهدون الفتنين، وهم من يسمونهم  
 برجال الأعراف، وهم ليسوا ذكورا فقط كما يتبادر إلى ذهن الناس  
 الذين تأثروا بالفقه والتفسيرات القديمة، بل هم ذكور وإناث، فكلمة  
 رجال تطلق أحيانا لكل ما يقوم على رجلين، فحين يقول الله بسورة  
 النور: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذُنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ  
 وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لَّهُمْ جِدَارٌ وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ  
 يَخَافُونَ يَوْمًا تَلْقَوْنَ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا  
 وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿38﴾﴾ [النور: 36-38].

فلا يعني بكلمة [رجال] الذكور فقط، بل يعني كل ما قام على  
 رجلين، لذلك فإن الذين انتهى علمهم بأن كلمة رجال تعني الذكور

حرموا ذهاب المرأة للمسجد، ومنهم من كره ذهابها للمسجد، وكل ذلك من مغبة تأويلهم كلمة [رجال] والتزامهم وحصرهم لها بأنها لا تعني عندهم إلا الذكورة، فتأثر تفسير القرءان وكره للمرأة الصلاة بالمسجد.

وعودة إلى رجال الأعراف الذين ذكرهم الله بالسورة التي سُميت باسمهم، فيقول الله فيهم: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَعْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: 46-49]؛ وهكذا تجد رحمة الله تدرك أهل الأعراف الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، فيدخلون الجنة برحمة الله.

ومن البيان أن أهل الأعراف لا ينظرون إلى أهل النار بإرادتهم بل تُصرف أبصارهم إلى أهل النار رغما عنهم، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، وقال صاحب المنار: وقد أفاد هذا التعبير بالفعل المبني للمجهول أنهم يوجهون أبصارهم إلى أصحاب الجنة بالقصد والرغبة، ويلقون إليهم السلام، وأنهم يكرهون

رؤية أصحاب النَّار، فإذا صُرفت أبصارهم تلقاءهم من غير قصد ولا رغبة، فإنهم يقولون ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

وجدير بالذكر بأن الأعراف التي بين الجنة والنار فاصل يمنع رؤية العذاب، ويمنع صرخات المعذنين عن أهل الجنة، لكنه لا يمنع المناداة بينهما.

وترى الملائكة حول الجنة والنار وهم ناطقون: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: 75].

وبمجرد الدخول يكون الخلود بالجنة أو النار، لكن يحلو لبعض المُجَسِّدين، أن يستعين بأقوال أسلافه ممن يحملون ذات الصفة (حُب التَّجْسِيد)، ويظنون قولهم (حديثا صحيحا)، فيقولون بالحديث الذي رواه مسلم برقم: [2849] كما رواه البخاري أيضا: عن أبي سعيد قال: قال: رسول الله ﷺ: [يُجَاءُ بِالْمُوتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ (زاد أبو كريب فيوقف بين الجنة والنار) واتفقا في باقي الحديث فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح قال ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت قال ثم قرأ رسول الله :

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْمَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 37]  
وأشار بيده إلى الدنيا.

فهل يُعقل مثل هذا الهراء أن يُنسب لخاتم الأنبياء والمرسلين، إنه يكفيك أن تشهد بأن الآية القرآنية التي يزعمون بأن النبي استشهد بها في الحديث لا تمت لموضوع الخلود بالجنة أو النَّار بصلة، فبينما تتكلم الرواية عن الناس وقد دخلوا الجنة والنَّار، والموت وقد ذُبح بينهم، فإن الآية تتكلم عن أحياء يتم إنذارهم بيوم القيامة لعدم إيمانهم في الدنيا، وإنه وإن كان لا بد الاستشهاد بآية فكان يمكن الاستشهاد بالآية:  
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لَئِبَتُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: 68]؛ أو قوله تعالى:  
﴿جَنَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: 76]؛ لكن قل في التزوير على رسول الله ما تشاء.

وهل لدى أهل النَّار فرصة لأن يشرئبوا وينظروا، وهل أهل الجنة يتشككون بأنهم خالدين فيها، هل لا بد من ذبح الموت؟!، وبهذا المنوال لماذا لا نحضر الضمير ونزرعه، ونمسك بالوساوس فنحرقها، يا ناس كفاكم تدميرا للعقل البشري باسم حديث صحيح.

وهل يخاف الكافرون من ذبح الموت بعد دخولهم النَّار يوم القيامة، ولا يخافون من الموت نفسه الذي سيدخلون في مُعتركه حقا وحقيقة في

الدنيا؟، وماذا يهمهم إن دُبح الموت أم لم يُذبح، هل بقاء الموت على قيد الحياة هو الذي يهينا الحياة؟، أم يهبها خالق الأكوان الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وبلا أسباب أو مسببات، فإن قال الله للنبي (اقرأ) فإنه يقرأ بحول الله وأمره دون ما حاجة لأن يدخل المدرسة ويتعلم القراءة، وإذا أراد أن يحيي من أماته مائة عام فإنه يحييه دون ما حاجة لغياب الموت عن الساحة حتى يعيد إحياءه.

إن مثل تلك الروايات التي يتشيع لها بعض ممن يتصورون بأنهم دعاة للسنة النبوية تُكرس للجهل وتُبعد الناس عن كتاب الله وتفسد بها العقيدة، وتنزوي بها الحقائق القرآنية في أفكار الناس من فعل المخلوط السحري الذي لا نعلم حقيقة صحته، والذي يسمونه (حديثاً صحيحاً) بلا تحييص.

وما أرى تلك التصورات والروايات إلا من السيناريوهات المسرحية الدرامية، لأن أولئك الدعاة الذين يتشدقون بمثل تلك الترهات التراثية لم يمس شغاف قلوبهم اليقين الإياني بما يقرءون من كتاب الله، ألا يكفي هؤلاء قول الله عن الجنة والنار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، وقوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾، وقوله تعالى -عن أهل النار- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37]؛ وقوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ

وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ [التوبة: 21]؛ فهل تحتاج كلمة (مقيم) لتجيد وذبح للموت حتى تؤمن بخلود المصير بالآخرة.

هل لا بد من تجميد الأمر وذبح الموت، حتى نصل لذلك اليقين المادي المجدد؟!، فأين الإيمان بالغيب؟، ألا يؤمن هؤلاء بما فعل الله بأصحاب الفيل، هل لا بد أن يريهم الله الفيل أو أصحاب الفيل وما حل بهم؟، أرى بأنه لا بد من مراجعة موقف كل مسلم من إيمانه وحققة يقينه بآيات ربه.

لقد رأيت أم أحفادي وزوجة ولدي وهي تقطني كتابا لأحد مشاهير الدعاة يقع في (701) سبعمائة وصفحة واحدة من القطع الكبير، يتكلم عن أحداث النهاية وما رأيت فيه إلا فقرا مدقعا في العلم بالقرءان، وأرى أن الاعتماد على الحديث النبوي لغرس عقائد الغيبيات لدى أهل الإسلام نوع من الزوغ عن الحق، وتصوروا سبعمائة وصفحة واحدة عن أحداث النهاية بينما القرءان بأكمله لم تصل صفحاته لهذا العدد أبدا.

## طبيعة وشكل الحياة بالجنة والنار؛

### 1- أهل الجنة:

لعل القارئ حين يقرأ هذا العنوان فإنه لأول وهلة يقول في نفسه وما أدرانا بطبيعة وشكل الحياة داخل الجنة والنار، لكن القرءان لم

يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها، ومع هذا تجد هواة هجر القران  
يتركون آياته إلى ما تشرح له نفوسهم من المرويات البشرية، بينما لا  
تطرب نفوسهم لذكر القران.

فمن الجنة يقول تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ  
غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِ بَيْنَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ  
مُصْفًى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ هُوَ خَلْقُ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً  
حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

وعن أهل الجنة يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ  
ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا  
أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25]؛ وبسورة الكهف  
قال بأن الأنهار تجري من تحتهم وليس من تحتها: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ  
عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا  
مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾  
[الكهف: 31].

ويطوف عليهم ولدان مخلدون من الملائكة، ولعل البعض  
يندهش من كلمة ولدان لكن إن علمت أن النظر للصغار من الأولاد  
كان يشرح صدرك في الدنيا فإن الله يخاطبك بها يشرح له صدرك

ويعيه عقلك، لكنهم ليسوا كأولاد الدنيا بل هم كاللآلىء، فقال تعالى:  
﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّشْرُورًا﴾ [الإنسان: 19].

وقال بسورة الواقعة شارحاً موقف فئات أهل الجنة، ومحدداً بأنهم  
صنفان فقط حيث يقول تعالى: ﴿وَالسَّادِقُونَ السَّادِقُونَ﴾ (١٠) ﴿أُولَئِكَ الْمَقَرَّبُونَ﴾  
(١١) ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ (١٢) ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٤) ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾  
﴿مَوْضُونَةٍ﴾ (١٥) ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مَتَّعِيلِينَ﴾ (١٦) ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (١٧) ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (١٨) ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (١٩) ﴿فَوَكَهَهُمْ مَعَا﴾  
﴿يَسْحَرُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَلَحِرَ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢١) ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (٢٢) ﴿كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾  
(٢٣) ﴿جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِمَا﴾ (٢٥) ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا﴾  
﴿سَلَامًا﴾ (٢٦) ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ (٢٨) ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾  
(٢٩) ﴿وِظَلِّ مَدِيدٍ﴾ (٣٠) ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ (٣١) ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ (٣٢) ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا﴾  
﴿مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣٣) ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ (٣٤) ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾ (٣٥) ﴿فَجَعَلْنَهُمْ أَجْبَارًا﴾ (٣٦) ﴿عُرْبًا﴾  
﴿أَتْرَابًا﴾ (٣٧) ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٣٨) ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩) ﴿وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿

[الواقعة: 10-40].

ويقول - تعالى - واصفاً مساكن أهل الجنة من المتقين: ﴿لَكِنَّ  
الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُّبِينَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا  
يُخْلِفُ اللَّهُ الْأَمْعَادَ﴾ [الزمر: 20]؛ ويقول - سبحانه - واصفاً مساكن  
المؤمنين: ﴿يَعْرِفُ لِكُلِّ دُونِكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيُكِنُ طَيْبَةً﴾

فِي جَنَّتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿﴾ [الصف: 12]؛ ويقول - تعالى - واصفا مسكن الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾ [الفرقان: 10].

ومن أحوال أهل الجنة أن يُذهب الله الحزن والغل والتعب من نفوسهم بينما هم يضحكون من الكافرين ومصيرهم، فيقول تعالى بسورة المطففين: ﴿ إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَحْضُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ ﴿٢٦﴾ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَرَجَهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٨﴾ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمَعْرُوبُ ﴿٢٩﴾ إِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا أَنْقَلِبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ تُنْفَلَبُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٤﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٥﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المطففين: 22-36].

ويقول تعالى بسورة الدخان: ﴿ إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ ءَامِنٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَدِّمِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ جَنِّيبٍ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ؕ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الدخان: 51-57].

ومن بين نعيم الجنة اعتدال جوها فلا هو بالحر ولا بالبرد، حيث يقول تعالى بسورة الإنسان: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ مُمْكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِكُمْ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾ وَدَائِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَقْدُمُهَا نَذِيلًا ۝١٤﴾ وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِتَائِيَةٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا نَقِيرًا ۝١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَمْجِيلًا ۝١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ۝١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ۝١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ تَمَمَّ رَأَيْتَ نَيْمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ عَلَيْهِمْ نِيَابٌ سُنْدُسٍ حُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا ۝٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْجَاءَ وَكَانَ سَعِيرًا مُّشْكُورًا ۝﴾ [الإنسان: 12-22].

ومن بين مقامات أهل الجنة أن يزوجهم الله بالأبكار، وهو أمر للرجال والنساء، فالتزويج هنا لا يعني الشهوة الحيوانية التي كانت في الدنيا للجنس الآخر، إنما التزويج هنا لمتعة أعلى، وهي تكون للرجال والنساء على السواء.

أما قوله - تعالى - بأن التزويج يكون من حور عين أبكار، فلا يعني أنثوية الحور العين، ولا يعني غشاء البكارة، فذلكم من الميراث السفلي للكلمات، إنما ونحن بالجنة يكون معنى البكورة أنك (ذكر كنت أو أنثى) ستكون أول من يمس هذه الحور العين، ولأنها من شئون الآخرة فلك أن تتخيلها كما نتخيل قرونا للشيطان بالدنيا، أو نتخيل

بأن هناك عروسا للبحر نصفها آدمي ونصفها سمكة بزعنفه ذيل، فلماذا نتخيل الحور العين بأنهن نساء؟، هل تكفي كلمة بكور وكلمة زواج لتبرز النرجسية الذكورية المتوفرة فينا لتفسير كتاب الله على نحو ما نرى؟، وهل يفضل الله الذكور بالجنة على الإناث؟، لا شك بأن ميراث التوجه في هذا الشأن ليس بسديد.

ويقول رسول الله - ﷺ - فيما رواه البخاري بالحديث رقم: [6851] حدثنا محمد بن سنان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: [كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن أبى قال من أطعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى].

والجنة ميراث لحياة الصلاح التي قضاها المسلم في حياته الدنيا، وهي مُعدّة سلفاً لاستقبال المؤمنين بدعوة الرسل، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿... وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]؛ وعن سبق إعداد الجنة يقول تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

## 2- أهل النار:

أما أهل النار - نعوذ بالله منهم ومن مصيرهم - فعلاوة على ما عاينوه من سوء الحساب فإن مصيرهم أسود، حيث يقول تعالى بسورة الحج عن ثيابهم ومصيرهم: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْطِعٌ مِّن حديدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿﴾ [الحج: 19-22].

ويقول أيضا عن ثيابهم: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّن فِطْرَانٍ وَنَعَشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿﴾ [إبراهيم: 50].

ويقول تعالى بسورة المرسلات: ﴿وَلَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنظِلِقُوا إِلَىٰ مَا كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنظِلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شَعْبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤَدُّ لَهُمْ فِعْعِنْدِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿﴾ [المرسلات: 28-37].

ويقول تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿﴾ [الكهف: 29].

فتصور سرادقاً من نار والناس تستغيث فيه فيغاثون بهاء صديد كالمهل يشوي الوجوه، ويقطع الأمعاء مع طعام الزقوم.

ويقول تعالى في شان شراب أهل النار: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16]، ويقول تعالى عن طعامهم: ﴿إِنَّ سَجَرَتَ الزَّقْوِمِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ الْأَثِيرِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: 43-50].

وهناك صنف آخر لهم طعام غير الزقوم، حيث تجرد من يأكلون طعام من الضريع، فيقول تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: 6-7].

ويقول تعالى بسورة الواقعة عن أصحاب الشمال ونوع أكلهم وشرابهم: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَاطَا لَوْنَ الْمَكْدُونِ ﴿٥١﴾ لَا كُفُونَ مِنْ سَجَرٍ مِنْ زَقْوِمٍ ﴿٥٢﴾ فَتَأْتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَتَشْرَبُونَ شُرْبَ الْهَبِيمِ﴾ [الواقعة: 51-55].

ويقول تعالى بسورة النبأ عن شكل الشراب بجهنم ودرجة حرارته: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٤٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٤٥﴾ جَزَاءً

وَفَاقًا ﴿ [النبأ: 24-26]؛ ولاحظ تعبير ﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾ إن ذلك يعني أن الجزاء وفق العمل بقانون سبق أن سنه الله لعباده وأعلمهم به.

ويقول ربنا بسورة الأحزاب واصفا حال أهلها وندمهم: ﴿ يَوْمَ تَقَلَّبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٢٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا إِتْمَمْنَا صِغَارَنَا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿ [الأحزاب: 66-68].

وتجد الذين كانوا يبخلون عن بذل المال في سبيل الله، فلم يخرجوا زكاة أموالهم حيث يقول تعالى عنهم: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرِثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: 180].

ويقول تعالى بشأن بعض الأحرار والرهبان والبخلاء الذين سيعذبهم الله بالنار: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدِّقُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِئُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٢١﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَمُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزُرُونَ ﴿ [التوبة: 34-35].

والنار معدة سلفا لأهل الكفر جزاء ما قدمت أيديهم بحياتهم

الدنيا، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 131].

ولنتبه لقول رسول السّاحة والمحبة محمد بن عبد الله فيما رواه أبو داود بالحديث رقم: 881- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: صليت إلى جنب رسول الله ﷺ في صلاة تطوع فسمعته يقول: «أعوذ بالله من النار، ويل لأهل النار».

لكن من بلايا الاعتماد على الحديث، حتى بعض الذي يسمونه صحيحا، والذي يتصادم بالمباشرة مع نصوص آيات كتاب الله، قولهم بأن النار لا تكتفي إلا إذا وضع الرب قدمه فيها، فإن ذلك الدس على رسول الله يتصادم مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: 13]؛ فهل نتغاضى عن معاني القرءان الذي يقرر بأن النار تمتلئ بالجنة والناس، أم نرتوي بالحديث الذي يقول بأنها لا تكتفي إلا بقدم الله، تعالى لله عن ذلك علوا كبيرا وعظيما.

وإليك الحديث الذي ورد بصحيح أحمد ومسلم: [لا تزال جهنم تقول هل من مزيد فيقول رب العالمين فيضع قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول بغزتك قط ولا يزال في الجنة فضلا حتى ينشئ الله خلقا آخر فيمكنه في فضول الجنة].

نعم إن الله يقول: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: 30]؛ لكن ليس معنى ذلك أنها لا تمتلئ إلا بقدم الله، فملؤها يكون بالجنة والناس كما ورد البيان.

## ثانياً: درجات الرأفة بالآخرة وطريقة الحساب وهل دخول الجنة بالرحمة؟

قد يكون من المناسب أن أذكر بأنه مع هول الحساب ومواقفه بالآخرة، إلا أنه يجب تقسيم الناس إلى أقسام بالنسبة لحسابهم أمام رب الأرباب، فالكافر لا يؤخذ منه صرف ولا عدل، فكما كان لا يعترف بالله في دنياه فإن الله لن يعترف له بحسناته يوم القيامة، لذلك يقول تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]؛ والله يعدُّ الكافرين لمصير السوء يوم القيامة فيقول بسورة مريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكُفْرِينَ تُوَرِّهُمُ آزًا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [مريم: 83-84]؛ فمهما عمل الكافر من عمل فإن الله لا يعتد بحسناته ويدخله النار.

والقسم الثاني هم المشركون، وهؤلاء الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، فبعضهم كان يشرك عن عمد، لذلك تراه إن اتبه لا يأبه، وإن حذرته لا يرتدع، لذلك فهذا الصنف يلحق بأهل الكفر، وفي ذلك

يقول تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 1]؛ ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6].

ويلحق المنافقون بهذا الصنف من المشركين، فتجد القرءان وقد قرأهم في مواطن كثيرة فقال: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 73]؛ ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَنَّا السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةً السُّوءِ وَعَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: 6].

وهناك قسم من الناس كانوا يشركون بلا عمد منهم، فكانوا لا يشركون شرك عقيدة، لكن يشركون ضمناً من خلال أعمال وأقوال لا يتبهون لها، وهؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]؛ وهؤلاء إن وعظتهم وعظوا، وإن نهيتهم انتهوا، لذلك فإن مصيرهم الحساب اليسير ثم مغفرة من الله، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 17].

وهناك الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم (شرك)، فأولئك يُكْفَرُ اللهُ عنهم سيئاتهم، ويقول تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣٣] لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٣٤ ﴾ لِيُكْفَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الزمر: 33-35].

والذين يجتنبون كبائر الإثم لهم نص خاص بكتاب الله: ﴿ إِنْ جَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُهُنَّ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: 31]؛ وليس كما يقول البعض بأن الله يعذبنا على السوء سوءا والإحسان إحسانا، وكأن كل فعل منفصل عن الآخر في عقوبته وجزائه، فذلك شعار من لم يفقهوا كتاب الله القائل: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿ [هود: 114].

فهل من ذكرى الذاكرين ألا نفهم أن كثرة الحسنات تحمو السيئات، ونقول للناس بأن الله يحاسب على السوء سوءا وعلى الإحسان إحسانا لنخيف الناس؟!، ولست أدري أين هؤلاء الدعاة من قول رسول الله: [اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تحمها وخالق الناس بخلق حسن].

كما أن الاستغفار والتوبة من أهم موجبات المغفرة وموجبات

الجنة، حيث يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُوا أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ  
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿52﴾  
[هود: 52]؛ ويقول تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي  
رَحِيمٌ دُوْدٌ ﴿90﴾ [هود: 90].

ويجدر الإشارة بأن دخول الجنة أو النار يكون وفقا للعمل ولا  
يكون الدخول برحمة الله كما يقولون، وإلا كان دخول النار بنقمة الله،  
فهم يقولون بأن دخول الجنة برحمة الله، لكنهم لا يقولون شيئا عن  
دخول النار وكأن مصير الناس جميعا أن يستحقوا ويمسحوا في النار.

لكن على هؤلاء أن يعلموا أن رحمة الله كانت بالأرض، فالرحمة  
كانت بوضع أسسها وتبينها لنا بأن الحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف  
لمن يشاء والله واسع عليم، وبأن الحسنات يذهبن السيئات، وبأن  
من هم بسيئة فلم يفعلها كتبت له حسنة، وتبديل السيئات حسنات  
بمجرد التوبة، وبمحو السيئات بمجرد الاستغفار، وبأن يجري أجر  
عملك الصالح عليك بعد مماتك، وبأنك معذور فيما لا طاقة لك به،  
وبحساب حسناتك على أفضل أعمالك (أحسن ما عملوا)... إلخ.

كل ذلك من رحمت الله، أما يوم القيامة فهو يوم الجزاء، لذلك  
فيجازى كل منا بعمله وفق الضوابط التي وضعها الله لنا في الحياة  
وبينها لنا في القرآن الكريم، لذلك فإن قولهم بأن دخول الجنة يكون

برحمة الله فيه تصغير لقيمة الصلاح، ومن الآيات التي يُنكرونها ضمينا  
بمعتقدهم المذكور الآيات التالية:

1- ﴿... لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَىٰ﴾  
[النجم: 31].

2- ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ  
الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: 35].

3- ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ  
بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: 38].

4- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم  
مِّن فَضْلِهِ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا  
أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 173].

5- ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَن سَعَاهُ سَوْفَ يَرَىٰ ﴿٤٠﴾  
ثُمَّ يُجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْآوْفَىٰ﴾ [النجم: 39-41].

6- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا  
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ  
﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ  
الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: 73-74].

7- ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۚ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: 124].

8- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 97].

9- ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ جَارِيَةٍ مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: 195].

10- ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: 54].

وهكذا يجد المسلم أن جميع الآيات علقت المصير على العمل، هذا إلى غير الآيات التي تذكر [فأصابتهم سيئات ما كسبوا]؛ أما أهل اليمين والمتقين فقد سبق الوعد من الله بأن يغفر سيئاتهم طالما اتبعوا منهجهم، واجتنبوا الكبائر، أو تابوا عنها، واستغفروا لذنوبهم، وربت حسناتهم على سيئاتهم، فأولئك يدخلون الجنة، وهو منهج ثابت من قبل أن تقوم الساعة، وقبل يوم القيامة، فرحمة الله تم توزيع مخصصاتها قبل القيامة فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، لذلك عليك بالإخلاص لله وكثرة الحسنات.

وقوله: ﴿ أَمَنْ هُوَ قَنْتِ ۗءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: 9]؛ إنما يمايز الله بتلك الآية بين صاحب العمل والعلم عن غيره من الناس وغير ذلك من الآيات كثير، فكل تلك الآيات تُعظِّم قيمة العمل الصالح وقيمة التَّقوى، وتؤكد على عدم مساواة المحسن بالمسيء أبدًا.

أما من خلطت عليهم الأمور وتصوروا دخول الجنة بالرحمة وشيدوا لذلك مرويات قالوا عنها (حديث صحيح) فقد خالفوا وأشياءهم كتاب الله، ولنتعرض رحمة الله بالقران لتبين خطأ ذلك المنهج فيما يلي من قول المولى - عز وجل - حيث يقول تعالى:

1- ﴿ أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: 49]؛ هذه الآية وردت في أصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فهم يدخلون الجنة برحمة الله، وهم الفئة الوحيدة التي تدخل الجنة برحمة الله لتساوي الحسنات والسيئات. وإذا انتهينا لمعنى دخول الجنة بالرحمة ألا نكون تصادمنا مع كل الآيات السابقات التي تؤكد أهمية العمل لدخول الجنة أو النار؟!.

2- ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلَيْكَ هُمْ أَفْأَبَرُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ  
وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ  
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿﴾ [التوبة: 20-22]؛ فوارد بالسياق أن البشري  
بالرحمة والرضوان يكونان قبل دخول الجنة، وهناك فرق بين البشري  
والدخول بالرحمة، فالبشري بالرحمة بشرها الله كل من آمن، وبشرها  
لنا الآن حال حياتنا، ثم ننال الرضوان لحسن سلوكنا، فندخل الجنة،  
فالبشري بالرحمة لكل من أطاع، بما يعني تكفير الذنوب الذي سبق  
وأوردناه كقاعدة وضعها الله في الدنيا كي نسترشد بها كمنهج  
للوصل إلى الجنة، بما يعني أن رحمة الله تكون في الأرض لمن أطاع،  
وغضبه يكون منذ أن كنا أحياء بالأرض لمن كفر وعصى، وهو منهج  
موضوع سلفا وأعلنه الله لنا، وذلك من رحمته سبحانه وتعالى، لكن  
ليست هناك رحمة إضافية في الآخرة، لأن الأفلام جفت وطويت  
الصحف منذ كنا بالدنيا.

فعلى من يتصدى للقرءان بالتفسير والبيان ألا يُنشئ تضاربا  
بمفهومه الذي انتهى إليه وهو لا يعي، ولا يغير المسلمون بأسماء  
الأئمة والمشايخ، فلقد ابتلينا بتقديس القديم وتسفيه الحديث، فالأصل  
أن تكون كما قال الله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: 18]؛ وأن  
تكون كما أمر رسول الله: [استفت قلبك وإن أفطوك الناس وأفطوك].

## قبول الأعمال وعدم قبولها:

يعتقد كثير من الناس بأن العبد يعمل، والله قد يقبل وقد لا يقبل، لذلك فتراهم يقولون لبعضهم بعد الصلاة وفي رمضان والأعياد (اللهم تقبل)، وحينما تقول لأحدهم (رمضان كريم)، يعاجلك بالقول (بس ربنا يتقبل)، وهم يدفعون الصدقة للفقير ويتشككون في قبول الله لها، وغير ذلك كثير.

ومن بين ما قوي به منطق القبول وعدم القبول للمصالحات من الأعمال، حديث عندهم منسوب للنبي - ﷺ - زورا يقول راويه: [إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا أعطاه]، وهي ما يُسمِّيها العامة (ساعة الإجابة)، فهذا المنطق يذهب إلى إمكان عدم قبول الله لعملك الصالح أو دعائك، ففي الجمعة ساعة إجابة، أما باقي الساعات (فأنت وبختك وحظك)، وهو من فساد فكرة المرء عن الله الذي سبقت رحمته غضبه، والذي يقبل كل ما كان خالصا لوجهه ولا يردده أبدا.

نعم إننا نحب أن يدعو كل منا لأخيه بتلك الدعوة الطيبة (اللهم تقبل)، لكن لا نحب أن نكون متشككين في أعمالنا، ولا أن نكون متشككين في قبول الله لأعمالنا، أو لدعائنا، وهذا الأمر هو بيت القصيد في مقامنا المائل.

إن العبد هو أدرى الناس بما فعله، أكان يتبغي بعمله وجه الله أم شيئاً آخر، ولا يجب أن نزرع الشك في أنفسنا بأنفسنا، فذلك مرض إبليسي وضعه الشيطان فينا بيد دعاة لم يدركوا حقيقة الاعتقاد، ولا حقيقة التوجه لله بالعبادة.

ولعله من البدهي أن أتوه لأولئك الدعاة ما يعلمونه من أن الله - جل جلاله - يغفر الذنوب جميعاً، فكيف بمن يغفر ذنوب المذنبين المخالفين ألا يتقبل صلاة عبد يطيعه أو صيامه؟!، كيف تجرأ هؤلاء الدعاة بذلك القول المجوج!، وكيف يُشككون الناس في أعمالهم وقبولها عند مليكهم، إنه إن كان الله عندهم يُعاقب المخطئين، ولا يتقبل من العابدين، فذلك ليس بالهنا الواحد الأحد الذي لا يرد باب سائل، ويغفر الذنوب جميعاً، بل هو إله الغلظة والفظاظة التي درجوا عليها.

نعم لا يتقبل الله عمل المنافقين والمرائين بعباداتهم غير الله، لكن لا يمكن تصور إنسان مسلم سليم العقل يظن في نفسه أنه قد يكون منافقاً وهو غير منافق فذلك عتّه، أو أن يتصور أنه مُراء وليس بمراء فذلك من الضلال، وفساد النفوس، وإلا فلماذا لا يظن المرء في نفسه أنه مريض، ونزياً بالعبد المسلم أن يكون كذلك أو أن يكون مريضاً.

ولقد نظرت في كتاب الله فلم أجد أثراً لعدم القبول إلا بمواضع

محددة على سبيل الحصر، ولا يجوز التوسع فيها، فالله لا يقبل من الكافر ملئ الأرض ذهباً ليفتدي به نفسه (91 آل عمران)، ولا يقبل شفاعته في كافر (48 البقرة)، ولا يقبل ديناً غير الإسلام (85 آل عمران)، ولا يقبل الله توبة المرتد الذي ازداد كفره بعد ارتداده (90 آل عمران)، ولا يقبل يوم القيامة شيئاً بدل العمل الصالح (123 البقرة)، ولا يتقبل الله من المنافقين (53 التوبة).

وقد يلوذ أحد المخالفين بقوله تعالى على لسان ابن سيدنا آدم: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]؛ فقبول الله من المتقين لا يعني أنك لست منهم، فأنت حين تعمد إلى الصلاة، أو الصوم، أو الصدقة، أو الإخلاص في عملك وتخصصك، أو حين تعود مريضاً لا تعود إلا لله، أو غير ذلك من أعمال الصالحات، فأنت وقتها وحينها تكون من المتقين، فلا تتصور أن المتقين فئة من الناس تخصصت التقوى، وإلا لخالفوا الناموس الطبيعي الذي قال فيه رسولنا الكريم: [كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون].

وقد يتعلل آخر بأن سيدنا إبراهيم وابنه دعيا لأنفسهما بأن يتقبل الله، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]؛ فقد سبق القول

بأن دعاء المسلم أن يتقبل الله عمله لا يجب أن يصل لمعني التشكك في مدى إخلاص العمل لله، ولا في تعميم حتمية قبول الله للعمل الصالح، إنما يعني تواضع العبد حينما يتقرب إلى الله بالعبادة متواضعا يلتمس القبول، لكن لا يعني الأمر عكس ذلك أبداً.

لذلك فإن الصيحات التي تشكك في قبول عمل العبد المسلم أو عدم قبوله لا تستند إلى فقه أو دليل، فالله سبحانه أرحم بعباده من أن يظلمهم، بل لقد أخذ على نفسه أن يُنمّي حسناتنا، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40]؛ يعني ذلك أن الله يتامس الحسنات ليُنمّيها، وليس كما ذهب أئمة الغلظة بأنه - سبحانه - قد لا يقبلها من الأصل.

ويقول جل شأنه وعَظَمَ مقداره بسورة الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَلُّهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنِّي بُثْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقِبِلْ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَجَّوْهُمْ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 15-16]؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال؟، فالله يقول بأنه يقبل الحسنات ويتجاوز عن السيئات، لكن هناك ظلالة من فكر سقيم تشكك في القبول.

وليطمئن كل مسلم فالله الرحيم يقبل منه ذرّات العمل الصالح،  
لأنه قال بسورة الزلزلة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧)  
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7-8]. فلا يضيع الله  
أجر من أحسن عملاً أبداً.

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَّا عَمِلَتْ  
مِنْ سُوءٍ تُوَدِّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ  
بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].

كيف سترى ذرّة عملك الصالح حاضرة أمامك إذا لم يكن الله  
قد قبلها، فالله يقبل الأعمال بشهر رمضان وبغير رمضان، ويزداد قبوله  
بزيادة إخلاص العبد في توجهه إلى الله، ويمكن أن يزداد الأمر بشهر  
محدد، أو مكان مُعيّن، لكن شريطة الإخلاص المستمر لله، فمناطق  
القبول الأول هو التوجه لله ورضوانه بإخلاص، فما دمت استوفيت  
ذلك الشرط فلا تشكك في قبول عملك.

ودليل عقلي آخر على القبول، وهو إذا كان المسلم يؤمن بأن  
الله يغفر الذنوب، ويقبل التوبة عن عبادة المذنبين، فكيف لا يتقبل  
عملك الصالح وأنت لست مذنباً!، وهو سبحانه وتعالى القائل:  
﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾  
[الشورى: 25].

فالإخلاص هو أساس قبول العمل، وما أَرانا نصلي إلا لأننا مخلصون لله، فنادرا من يصلون ليراءوا الناس، ونحن لا نصوم إلا له سبحانه، فلا شك أنه حتماً يقبل منا كل الأعمال كل يوم على مدار العمر، ويزداد ذلك بشهر رمضان، وفي الكعبة المشرفة، وفي جوف الليل، وفي يوم الجمعة، ويوم عرفة... وهكذا.

ولتدبر قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: 5]؛ فكل المطلوب للنجاة بالآخرة هو إخلاص الحياة لله.

وعلينا أن نتدبر قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: 9]؛ فالوعد بالمغفرة بالآخرة قائم منذ الدنيا، وهو الأمر الذي يعني أنه ليس هناك مؤمن لا يخطئ، فهناك دوماً رب رحيم منذ كنا بالدنيا لكننا لم نقدره حق قدره.

وبذات المقياس السابق يكون ميزانك يوم القيامة، ويكون حسابك، فهل بعد ذلك تظن أنك من أهل النار؟، أرى بأن من يتصورون النار والعذاب والويل والثبور إما إنهم مرضى نفسيون بالمعصية، أو مرضى بالخلو والتشدد، فكلا الفريقين عليهم مراجعة عيادات الطب النفسي، ومراجعة سوء عقائدهم وظنهم بالرحمن الرحيم.

obeikandi.com

## خاتمة

وبعد: فقد كانت تلك نبذة من بيان الآخرة وأحداثها نهدي بأنوارها بهدي القرءان، وما وافقه من السنة النبوية، فنحن نأخذ به حتماً، لأن نبينا ﷺ [كان حُلُقُهُ القرءان]، وأما ما تصادم وما كان من أشكال دار الخيالة فهو أمر لا نعتد به، وإن لَوَّح مناصروه بأنه وحي وبأنه ما ينطق عن الهوى، فالهوى في أصله وحقيقته لديهم - بينما لا يدركون هم تلك الحقيقة - أنهم يُجِبون رواية الحديث مهما خالفت كتاب الله.

وهم يُرْطَبون بتلك العلوم والروايات المدسوسة على صدور السُّدَج والدهماء والعامّة الذين لا يُدركون من أمر دينهم إلا ما يُلقيه إليهم أولئك المتدعة باسم الإسلام من نفايات قولية لم يُقل بها رسول الله أبداً، ليظل هذا الفريق من دعاة وخطباء الفتنة علماء في نظر العامة، بينما هم يثبون فيهم الجحود بآيات كتاب الله، بل وإشراك رسول الله مع الله في الحكم بينما ينادون بأعلى عقيرتهم بأنهم الموحدون.

وتراهم يخالفون تعاليم كتاب الله في واقع عملهم وخطابهم لذلك ابتدع أساطينهم ما ابتدعوه ويستسيغونه بقولهم: [أَنَّ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْءَانِ وَقَاضِيَةٌ فِيهِ]، ويقولون بأنها تنسخ القرءان، لذلك لا تعجب حين يتلوون ويتلونون وهم يقولون بقتل المرتد، ورجم الزناة، وقتل تاركي الصلاة، وقسموا القتل فقالوا بمن تركها كفرا بها فإنه يُقتل كفرا، ومن تركها تشاغلا أو استهانة يُقتل بعد استتابته ثلاثة أيام حداً لا كفرا، وسموا أصحاب هذا الفقه أئمة، نعم هم أئمة لكنهم يخطئون وليسوا بمعصومين، ولا يجب أن نقدر كل ما جاء من آثارهم.

لذلك فلا بد لهم أن يعيدوا تفسير قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46]؛ باعتبار أن الساعة من أيام وأحداث الدنيا، فيكون ما قبلها من أحداث الدنيا، لا من أحداث القبر كما تحيل الأقدمون واختال المحدثون بذلك المفهوم، وأرى وجوب إعادة النظر في كل تفسيرات مست يوم القيامة أو الساعة لتندرج تحت ظل ما سردناه بتلك الدراسة الماثلة.

ولا أتعجب إن رأيتك تعيد النظر لتتدبر معنى قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1]؛

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ نُّعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18]؛ وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: 38]؛ وآيات تَبَرُّوْا الْأَتْبَاعَ مِنْ بَعْضِهِمْ الْبَعْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

والخوف كل الخوف على من صاحب الشياطين في الدنيا أن تنتهي به إلى الكفر، حيث يقول تعالى بسورة المؤمنون: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 96-98]؛ بما يعني التعوذ من أن تحضرك الشياطين حال الاحتضار، فهي تكون أعظم حالات المرء جللاً وضعفاً وهو ما زال على قيد الحياة يُسلم الحياة ويقبل على أخراه، فتحاول الشياطين أن تفتنه الفتنة الأخيرة ليكفر بالله، لذلك لا بد أن تغنم الخير وأصدقاء الخير في حياتك فهي فرصتك للتزود لرحلة الآخرة.